

نصيب العربي في باديته

من الرياضة البدنية

بقلم محمود مصطفى

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

إذا كانت الرياضة البدنية في حياتنا المدنية علاجاً للفتور الناجم عن الترف، والحياة الوداعة، والمآكل الدسمة، أو كانت مناهضة للضعف الذي صار إلى الأبناء وراثته عن الآباء، أو كانت مرادة للهو وترجية الوقت، فقد كانت عند العرب في باديتهم مرادة لأعظم من ذلك خطراً وأبعد غاية.

بنيت حياة العرب في باديتهم على توقع الخطر، وترقب المباغته. وقد كثرت فيهم الحروب والغارات، وليست كلها انتقاماً للشرف، وأخذوا بالثأر، ومجازاة على العدوان، ولكن كثيراً منها كان عدواناً ومبادهة بالشر، وتجنياً من قوى باغ على ضعيف وادع، أو طلباً للقوت لا يتخرجون معه من الإغارة على بني أبيهم الذين ليس عليهم في صدورهم سخيمة، ولا لهم قبلهم وتر. قال القطامي يتحدث عن إفراسه الحسان.

وَكُنْ إِذَا أَعْرَنْ عَلَى قَيْلٍ فَأَعُوزْهُنْ نَهَبٌ حَيْثُ كَانَا

أَعْرَنْ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حِلَالٍ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا

وأحياناً على بكر أخينا إذا مالم نجد إلا أخانا

فهم إذا علموا أبناءهم الفروسية، وأحذقوهم ركوب الخيل، وأخذوهم بالمرانة على الرماية والتسديد، فانما يفعلون ذلك استعداداً للمواثبة والمجادة

والكر والفر ، كما يفعلونه التماسا لوسيلة من وسائل كسب القوت .
ولسنا بصدد أن نحصر أنواع الرياضات عند العرب ولكنتنا إذا كرون منها
أشهر ما عرف ، فمن ذلك :

الصيد والقنص

لقد كان في متسع صحراء العرب مرايح ومغدى لهم ، يطلبون أنواع
الوحش والطير ، ويستعملون لذلك الأحاييل والمصايد ، وينصبون الفخاخ ،
ويحملون القسي وجعاب السهام ، ويتخذون لمعوتهم على هذا ما يكابونه
من الضواري والجوارح لتمسك عليهم صيدهم .

ولم يكن كل طردهم للحيوان لتحصيل الرزق ورد الجوع بل إن
كثيرا منه كان تمرسا بالشدائد ، ومغامرة في الصعاب ، وتلهيا بأعمال الحيلة ،
وتباهيا بالفراسة ، واعتدادا بالقوة ، وإلا فما شأنهم والأسد ؟ يتخذون له
الزبا وليس هو بما كول اللحم ، فليس يدفعهم إلى صيده إلا الاقتنان في
الحيلة والدلالة على القوة .

والصيد يطلق على فعل الصائد ، وهو اعتقال الحيوان أو الطائر ،
وحرمانه من حريته التي كان يتمتع بها في مسارحه وأجوائه ، كما يطلق
على نفس الحيوان أو الطائر إذا وقع في قبضة الصائد .

أما القنص فهو بالمعنى الأول للصيد ، فان فتحت النون « قنص » صار
بالمعنى الثاني . والناس يخطئون فيقولون : خرج فلان للصيد والقنص
(بفتح النون) وهو لا يكون مصدرا إلا بسكونها .

وإن نظرة في كتاب « المخصص لابن سيده » في باب الصيد وآلاته
لتدلنا على أن العرب كانوا يعنون بهذا الأمر عناية تامة ، بدليل ما وضعوا له
من ألفاظ تدل على أحواله ، وجميع ما يعرض له . فهم يسمون مزاويل

ذلك صائداً، وصياداً وقائضاً. فإذا كان خروجه في نصف النهار سمي سامياً والجمع سماء. وقد دلوا على استشارة الوحش وإخراجه من مكانه فسموا ذلك نجشاً ومحاولة نجاشاً ومنجاشاً، وعبروا عن الخيبة في محاولة الصيد والرجوع بلا شيء، بالارجاء، فقالوا: أرجأنا وأرجينا، أي لم نصد شيئاً. وسموا الحفرة التي يكمن فيها الصائد قُترة، والتي تحفر للأسد زُبيرة. فأما أنواع المصايد فكثيرة تتجاوز الحصر. ومنها ما كانت الفطرة البدوية هي الهادية إليها، ليس فيها أثر للصناعة كالرِّداحة، وهي دعامة بيت يبني من حجارة فيجعل على بابه حجر وتجعل لحمة السبع في مؤخر البيت، فإذا دخل وتناول اللحمة سقط الحجر على الباب فسد.

ومن المصايد ما كان للصناعة أثر فيه فدل على فكر صناعي مثقف. وقد استعمله العرب في باديتهم أيام جاهليتهم: إما منقولا عن المتحضرين حولهم، أو هو من بقايا مدينتهم القديمة في اليمن، ومن ذلك اللبجة، وهي حديدة ذات شعب كأنها كف بأصابعه، تنفرج فيوضع في وسطها اللحم ثم تشد إلى وتد، فإذا قبض عليها الذئب مثلاً التبجت في خطمه فقبضت عليه وصرعته. وغير ذلك كثير.

طرائد العرب

الطرائد جمع طريدة، وهي ما طرد، أي طلب من صيد. هذا تعريف كتب اللغة لها. فإن بقيت في نفسك حاجة إلى معرفة الصلة بين طلب الصيد وأصل معنى الطرد المعروف، وهو الإبعاد فاعلم أن طلبك للحيوان يستلزم فراره من أمامك وابتعاده عنك، فكأنك بطلبه تطرده وتبعده، وإن لم يكن ذلك قصدك، فهذا ما يسمى عند علماء البلاغة بالمجاز المرسل، إذ قد ذكر اللازم وهو لفظ الطرد وأريد ملزومه، وهو طلب الحيوان.

والعرب تطلب من الوحش أنواعاً كثيرة، ففيها: البقر الوحشية، ويضرب بها المثل في حسن العيون وسوادها، وهي مما يصاد بالطرد على الخيل. ويقال: إن أول من طردها ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. ومنها الحمر الوحشية، ويقال للأثني منها آتان، ولذا كرم حمار أوعير، كما يقال للحمر الإنسانية وتسمى أيضاً الفراً، وهي من أسرع الصيد عدواً، وأشدّه في صيده استعصاء. وقد ضرب بها المثل في كرمها على صائدها، وعظيم استفادته منها فقيل: «كل الصيد في جوف الفرا». والمعنى أن الذي يظفر بالفرا في صيده يكون قد نال خيراً كثيراً، لما له من ضخمة الجثة وكثرة اللحم، كما أنه يكون قد دل على حذقه ومهارته لأن الفرا مشهور بشدة عدوه حتى إنه لا يتعلق به من الضواري إلا العقاب، ولا شيء أبلغ في صيده من النشّاب.

وأول من قال هذا المثل رجل خرج مع اثنين من أصحابه، فأصليب أحدهما أرنبا والثاني ظبياً، فافتخرا بما نالا. وكان هو قد أصاب فرأ، فكان رده عليهما بتلك الحكمة التي ذهبت مثلاً. وقد استعارها رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطاب أبي سفيان يكرمه بها ويتألفه على الإسلام حين قال له: يا أبا سفيان أنت كما قيل: «كل الصيد في جوف الفرا».

ومما يكثر طلب العربي له، وهو كثير بيلاذه، الظباء. وهي تصاد بالفهد والكلب والعقاب والحبال والأشراك، وربما صيدت بأهون المحاولات، وذلك أن العربي عرف من طباعها حبها للنيران، فإذا أراد صيدها أو قد النار فعشا إليها الظبي وأدام النظر فيها حتى يعشى ويذهل فيؤخذ على هذه الحال. وربما أضيف إلى ذلك جلجلة جرس أو قرع شن أو نحوه، فيزداد لذلك ذهوله. ولهم في صيده وسائل غير هذه.

ومما يصيده العربي في باديته وياً كل لحمه : النّعام ، واحدته نعامه ، وهى طائر مركب من صورتى جمل وطائر . وبعض المتكلمين على طبائع الحيوان لا يجعلها طائرا وإن كانت تبيض ، لأنها لا تطير ، وفاته أنها تملك وسيلة الطيران وهى الأجنحة والريش ، ولكن الذى منعها من ذلك هو ضخامتها و ثقل جثتها . وهى تسرع فى عدوها إسراعا يقرب من الطيران . وقد عرف العرب عنها أموراً كثيرة ، منها : الحق وذلك لأنها إذا كانت تحتضن بيضها ثم احتاجت لطلب الطعام فتركته ، لم تستطع العود إليه . ونسيت مكانه ، فاحتضنت بيض نعامه أخرى ؛ كما أنها إذا رأت الصياد يحاول صيدها وقفت مكانها وأخفت رأسها تحت جناحها فظنت حين لا تراه أنه لا يراها فياخذها بلا محاولة . وقالوا : إن النعام ليس له حاسة سمع ولكنه قوى الشم جدا ، فيستغنى بشمه عن سمعه . وهو لا يشرب الماء وإن طال عليه الأمد .

كما ذكروا أنه يتغذى بالصخر ، وقد عجب الجاحظ فى كتابه «الحيوان» من ذلك وإن لم ينكره ، فقد قال : « وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التغذى بما لا يتغذى به ، والأخرى استمراره وهضمه للشيء الذى لو ألقى فى شيء ثم طبخ أبدا ما انحل ولا لان . قال : ومن زعم أن جوف الظليم إنما يذيب الحجارة بقيظ الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لابد من ممدار للحرارة مع غرائز وخاصيات أخر ، ألا ترى أن جوف الكلب والذئب يذيان العظام ولا يذيان نوى التمر ، ونوى التمر أرخى وألين وأضعف من العظام المصمتة . ثم قال : وباب آخر - وهو عندى أعجب من الأول - وهو ابتلاعه (أى النعام) الجمر حتى ينفذ إلى جوفه ، فيكون هو العامل على إطفائه ، ولا يكون الجمر هو العامل على إحراقه . »

ولم يقتنع الجاحظ بهذا الحكم حتى شهد تجربة التقيمت فيها النعام

أمامه الصخر والحديد محمين في النار، وفعلت ذلك مرات ولم يعترها منه شيء، وكأنها لم تفعل إلا أمراً معتاداً. وما أردنا بذلك الحديث إلا أن العرب قد درسوا طباع الحيوان لكثرة ممارستهم لصيده، حتى كان عليهم في ذلك علماً جليلاً نافعا مبنياً على ما هدتهم إليه تجربتهم في بيئتهم.

الضواري والجوارح

استعان العرب على الصيد بأنواع من الحيوان والطيور وسموا ما اتخذ من الحيوان لذلك: الضواري، وما اتخذ من الطيور: الجوارح. فأما الحيوان فكثير منه قابل للتضرية، ولكن ذلك متعلق بمهارة السائس وحذقه؛ فقد ذكروا أن الذئب ضُرِّي حتى اصطاد الظباء وما دونها، وأنه رجع لصاحبه من ثلاثين فرسخاً، وكذلك الأسد اصطيدت به الحمر الوحشية، وابن عرس يجعل في عنقه حبل، فيدخل على الثعلب وجاره فلا يخرج إلا به. ولكن المشهور في قبول التضرية هو الكلب والفهد. فأما الكلب فلا حاجة بنا إلى الدلالة على وفائه وذكائه وشدة حراسته، فكل ذلك أمور متعارفة. ولكن الذي يهمنا من أموره في باب الصيد أنه إذا عاين الظباء قرية كانت أو بعيدة عرف المقتل وغير المقتل، وعرف الغنز من التيس. وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلا قصد التيس - وإن علم أنه أشد حُضراً، وأطول وثبة، وأبعد شوطاً - ويدع الغنز. وهو يرى ما فيها من نقصان حضرها وقصر قاب خطوها. ولكنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقَب^(١) يوله. وكل الحيوان إذا اشتد فزعه فإنه سيعرض له: إما سلس البول والتقطير، وإما الأسر والحقب.

وإذا تعب التيس لم يستطع البول مع شدة الحضر، فيثقل عبوه ويقصر خطوه، ويعتريه البهر حتى يلحقه الكلب فيأخذه. والعنز من الظباء إذا اعتراها البول لم تجمععه وحذفت به، فتصير لذلك أدوم شدا وأصبر على المطاولة. وقد عرف الكلب ذلك بطبعه من غير تعليم.

أما الفهد فهو من الوحش الذى يؤنس. وطريقة تأنيسه أن يجعل فى بيت وعندد سراج، ويعود الركوب على شئ يشبه ظهر الدابة حتى يتأنس. فإذا ركب مؤخر الدابة فقد صار داجنا وصاد. ومن طباعه شدة الغضب، فإذا أرسله صاحبه على صيد فأرجأ (لم يصد) اختد حتى كاد يقتل نفسه. فلا يسرى عنه الا تسلية صاحبه له.

أما الطيور التى تتخذ للصيد، وهى المسماة بالجوارح، فمنها (وهى ملكتها): العقاب وهى أثى، أما ذكرها فهو طير آخر لطيف الجرم لا يساوى شيئاً تلعب به الصبيان. والعقاب أعظم الجوارح جثة، ومن أسرع الطير طيراناً. ذكروا أن عقاباً حملت كف عبد الرحمن بن عتاب - المقتول يوم الجمل - من الكوفة الى مكة، وقد تبنوها فإذا هى كفه. وأرخ ذلك الوقت فإذا هو يوم الجمل.

والعقاب لا يتعاضمها شئ من الوحش حتى إنها تصيد حمر الوحش، وطريقة صيدها لها إذا رأتها رمت نفسها فى الماء حتى يتبل جناحها، ثم تقع على التراب فتحمل منه ما يعاق بجناحها، ثم تقع على رأس الحمار الوحشى وتصفعه بهما على عينيه فتمتئنان تراباً، فيقف فيدركه الصائد.

ومن الجوارح: البازى، وهو من أشد الحيوان كبراً، وأضيق صدره، ولا يكون إلا أثى، وذكرها من نوع آخر: حداة أو شاهين أو غيرها؛ ولذلك اختلفت أشكال البزاة وهو يصيد وإن لم يعلم الصيد، فإنه يؤخذ من وكره قبل أن يصيد مع أبويه، فيصيد ابتداء وقريحة من غير تضرية

السباق والرهان عليه

قال صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب : « كان العرب يتسابقون في أشياء كثيرة ، ولهم لعب مشهورة مشحون بها كتب اللغة . وقد أبطل الشرع السَّبَقَ ، وهو المال الذي يؤخذ على المسابقة في جميعها ، إلا ما استثناه الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » . أراد بالخف الأبل ، وبالحافر الخيل . والنصل هو السهم ، أراد به الرمي به . كل ذلك أباح فيه الخطر الذي كان عليه العرب أيام جاهليتهم ، لما في ذلك من المصالح والفوائد التي تعين في الحرب ، وتستوجب الفروسية ، ويجتري بها الإنسان على المناضلة والنزال . »

وخيل العرب هي أجود الخيل وأقواها على العدو ، وقد عنوا بها قديما أتم عناية ، فعرفوا أنسابها ، وميزوا سلائلها ، وتعارفوها بالآسماء كأبناءهم . ويحسن أن نعرض على أصحاب خيل السباق الذين يحبون أن تذكر خيولهم بالعتق . وترجع في نسبها إلى خيل عراب ، نذكر لهم أسماء من خيل العرب لينحلوها خيولهم حتى يتم التوافق بين صفات خيلهم وأسمائها فتكون جميعا عربية .

فأشهر خيل العرب وأكثرها نسلا ودوراناً في شعرهم : أعوج ؛ وكان لغنى بن أعصر . ومن أسماء خيلهم أيضا : الأشقر ، والأحزم ، والأزور ، وحومل ، وخصاف ، وداحس ، والغبراء ، ومرهوب ، والنعام ، ونحلة ، واليحموم ، ولزأز (وهو اسم فرس لرسول الله أهدها إليه المقوقس مع مارية) . وقديما عني العرب بالمسابقة بخيلهم ، واحتشد الناس لمشاهدة ذلك . وكانوا يفعلون كما نفعل من الاستشراف للنتيجة ، ونزوان القلوب عند

مشاركة الغاية، ثم الهتاف للسابق وفرحهم بفوزه . وتمثل ذلك في قوله
الخنساء تصف سباقاً جرى بين أبيها وأخيها قالت :

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران مُملأة الحُضر
حتى إذا نزتِ القلوب وقد لُزّت هُنَاك العُذرُ بالعُذرُ
وعلا هُتاف الناس أيهما قال المجيب هناك لا أدرى
برزت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا إلى وكر

ومن هذه الآيات نفهم مقدار عناية القوم بخيلهم، وشغف جمهورهم
بمحضور مسابقاتهم، فيكون منهم مثل ما يكون منا من الاستشراف وانتظار
النتيجة والهتاف للفائز، وتهنئته بالفوز وتعير الخائب بخيبته، حتى احتالت
الخنساء على الخروج من هذا المأزق (وقد قيل لها اذا مدحت أباك فقد
هجوت أحاك) بهذا الأسلوب البديع في إثبات الفضل لأبيها في سبقه
والاعتذار عن أخيها في تخلفه بأنه جدير أن يساويه في الفضل وإحراز
السبق، لولا أن جلال السن وشرف المقام جعل الولد يتزحزح عن الغاية
لأبيه فيخليها له . وهذا أسلوب شهد ببراعة الخنساء فيه نقاد الأدب
وصيارفة الكلام .

وبما يذكرون من أمثلة معرفة العرب بأنواع الخيل ما كان منها أصيلاً
أو هجيناً أو مُقرَفاً^(١)، أن سليمان بن ربيعة الباهلي عرض الخيل فمر
عمر بن معد يكرب على فرس فهجنه سليمان فاستعدي عليه عمرو أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فدعا سليمان بإناء فيه ماء، ثم أتى
(١) الأصيل ما كان أبوه وأمه عربيين . والهجين ما كان أبوه عربياً وأمه غير عربية،
والمقرف عكسه .

بفرس عتيق لا شك في عتقه فأشعر في الإناء فصف بين سنبيه ومد عنقه فشرب . ثم أتى بهجين لا شك في هجنته فأشعر فبرك وشرب . ثم أتى بفرس عمرو فأشعر فصف بين سنبيه ومد عنقه ثم ثنى أحد سنبيه قليلا فشرب . فقال عمر : أنت سلمان الخيل .

وفي رواية : أن عمر لم يكن حاضر هذا المقام ، فلما قال سلمان لعمر : فرسك هجين ؛ قال له عمرو : أجل ، الهجين يعرف الهجين . وبلغت عمر فكتب إلى عمرو : قد بلغني ما قلت لأميرك ، وبلغني أن لك سيفاً تسميه الصمصامة ، وعندى سيف أسميه مصمما ، وإيم الله لن وضعت لا أفلح حتى أبلغ به شيئا قد ذكره من جوفه ^(١) ، فإن سرك أن تعلم أحق ما أقول ، فعد .

وفي هذه القصة دلائل كثيرة على اعتداد العرب بخيولهم ومعرفتهم بعتقها ، وعدم تهجين الأصل منها سبة ، يستعدى عليها السلطان ، ويتحاجم فيها إلى ولي الأمر .

الحلبة والرهان

الحلبة تطلق على معنيين نصت عليهما كتب اللغة . فأما أحدهما : فهو الخيل تجتمع للسباق . قال صاحب القاموس المحيط : الحلبة (بالفتح) الدفعة من الخيل في الرهان ، وخيل تجتمع للسباق من كل أوب . وفي المصباح : الحلبة (وزان سجدة) : خيل تجتمع للسباق من كل أوب . يقال : جاءت فرسه في آخر الحلبة ، أى في آخر الليل .

أما المعنى الثاني فهو مكان السباق ، وقد نص عليه صاحب الأساس قال : وتجاوزوا في الحلبة وهي مجال الخيل للسباق .

(١) شيئا : القلب ؛ ذكره : أى ذكر الله تعالى

والرهان، مصدر رهن : بمعنى شرط شيئاً يأخذه السابق . وهذا المال المشروط يسمى الخطر أو السَّبَق . وخيل الحلبة عشرة، ولكل منها اسم : فالأول السابق أو المجلى، والثاني المصلى، والثالث المسلى، والرابع التالى . والخامس المرتاح، والسادس العاطف، والسابع المؤمل، والثامن الحظى، والتاسع اللطيم، والعاشر السُّكَيْت . وكان من عادة العرب أن تجعل للسبعة الأول أنصبة تختلف على ترتيبها، فأما الثلاثة الباقية فلا نصيب لها وكانت للعرب شروط فى تحقيق السبق، وجواز المراهنة عليه، فقد اشترطوا أن تكون الخيل متقاربة فى الحال، ففى تحقق حال أحدها فى السبق كان الرهان فى ذلك غير جائز، كما منعوا اشتراك المضمرة مع غير المضمرة، والعرب مع الهجان . وكانوا يعدون الفرس السابق بأذنه سابقاً . هذا إذا تساوت الأعناق، فإن اختلفت كان السبق بالكاهل .

والمسابقة من أمور الجاهلية التى أقرها الإسلام بشروط، ولم يعدها من باب تعذيب الحيوان، بل جعلها من المنافع لحاجة الإنسان إلى الخيل فى الكر والفر . فأما الخطر - وهو الجعل الذى يكون لصاحب الفرس السابق - فقد اختلفت أحواله فى الإسلام عنه فى الجاهلية، فأحله فى أحوال، منها : أن يخرج الوالى، أو رجل من الناس متبرع، سَبَقاً يجعله للسابق وليس له فرس فى الحلبة، فمن سبق فهو له . كما يجوز أن يقسم هذا السبق أقساماً، فيجعل للمجلى نصيب للموصلى غيره وهكذا، فيأخذ كل فرس ما شرط له عند فوزه . وهذه الصورة قد أباحها الأئمة جميعاً بلا استثناء، كما أباح بعضهم معها صورة أخرى . وهى أن يكون لهذا الوالى أو المتبرع فرس فى الحلبة، فإن سبق فرسه حبس ما فرضه، وإن سبق غيره أخذ ما شرط .

وقد أجاز الشافعى رضى الله عنه أن يشترط كل من المتسابقين سَبَقاً فيحرز السابق السبقين معاً . وكان هذا مباحاً فى الجاهلية على إطلاقه،

ولكن الاسلام اشترط دخول فرس ثالث يسفنى الدخيل أو المحلل، لا يكون عليه غرم إن تأخرو ويكون له السبقان إن فاز، وقد اشترطوا فيه أن يكون كفتا للفرسين اللذين جرى عليهما الرهان، يخشى أن يسبقهما فيحرز السبق. فأما إذا كان بليداً مأمونا أن يسبق لم يحصل معنى التحليل، وصار الرهان قماراً محرماً.

هذا هو الذى أباحه الاسلام من أحوال المراهنة. وهو ما كان في الجاهلية مع فروق لا تخرجه كثيراً عن الغرض الشريف الذى قصد منه، وهو حمل أصحاب الخيل على العناية بها وإكرامها وانتخاب ما عرف بالعق منها، وهو غرض حربى جليل يحمل عليه صواب الرأى، وتدعو إليه حكمة التدبير، مع ما فيه من تسلية بريئة.

فأما ما نراه اليوم بيننا في مصر فهو قمار بالغ الأذى، ذريع الفتك بالثروات، معجل بالخراب لكثير من البيوتات، لأن جمهور النظارة والمتفرجين يدخلون في المخاطرة ويتراهنون على الخيل متعصبين لأحدها على غيره وهم ليسوا بفرسان ولا بأصحاب خيول، فإن في عملهم الجشع وحب الحصول على المال بلا كد، واندفعوا في ذلك حتى ليخرج أحدهم عن ثروته في ساعة واحدة، وفيهم إلى جانب عظماء القوم، خدم المنازل وصغار الباعة والصناع يسهل عليهم التقدم بعرق جبينهم في أسبوع كامل إلى بائع أوراق المراهنات ثم يظنون مستشرفين للنتيجة فتخيب آمال، وتخوى بيوت، وتطوى بطون، وتعزى أجساد. ولأهون من كل هذا جرّم القمار!

إن انحصار المخاطرة في أصحاب الأفراس، أو تبرع العظماء برصد جوائزها، فيه كل المعانى الجليلة التى نهى عنها، من إحداث التنافس بين أصحاب الخيل وحملهم على الاعتناء بها وانتخاب جيادها. وهو نوع من

الذى يجرى بيننا فى كل شىء لا يقصد منه إلا شحذ الهمم وبعث العزائم، فهو مثل تلك الجوائز التى فرضها أصحاب الغنى للخبترعين والكاشفين والعلماء، وهو مقصد نبيل لانزال نشكر المتبرعين فيه، ونضيف إليهم الفضل فيما يكون من نجاح فى نواحي حياتنا .

فأما مرأهاتنا فما أجدرها بحزم الحكومة لترد هؤلاء الناس عن غواياتهم، وتوجه إلى الصواب مقاصدهم، وتوفر على الفقراء قوتهم .

الرمى بالسهم

لا شك أن هذا كان من علوم العرب الجليلة التى أخذوا بها أبناءهم ليعدوهم للحروب التى كانت لازمتهم فى حياتهم البدوية، وقد كانت القسي ورمى السهام أنكى أسلحتهم، وأعظم عددهم . وكانوا يتعلمون كيف يقف الرامى ويمسك القوس وينزع عنها، ومقدار ما يكون بينه وبين الهدف من قرب أو بعد أو ارتفاع أو انحطاط .

ولسنا مبعدين اذا تصورنا لهم مدارس خلوية يقف فيها الأحداث أمام الشدة التى تلقون عنهم تلك الأساليب، ويتخرجون على أيديهم فى الرمى والطعن والضرب، ويكفى أن يقول الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رمانى

حتى تصور مقدار عنايتهم بالرماية وعددا علماء، واحتياجها إلى المداومة فى التلقى .

كما نستطيع أن نفهم من الوضع اللغوى، وكثرة أسماء القوس وأجزائها، وأسماء السهام وأنواعها، وتفصيل حالات الإصابة ما يدلنا على اتساع مادة هذا العلم .

ويكفى فى هذا المقام أن نرين تفصيلهم للإصابة . فقد ذكروا أنها سبعة أنواع :

فالحاضل الذي يقرع الشن ولا يخذشه ، والحازق الذي يخذشه ولا يثقبه ، والحاسق الذي يثقبه ويثبت فيه ، والحاجي الذي يدنى يده من الأرض فيمر سهمه على وجهها ثم يصيب الغرض ، والمارق الذي يثقب الهدف وينفذه ، والحارم الذي يحرم طرف الشن ، أى يقطعه ، والمزدلف الذي يسقط سهم على الأرض بقرب الهدف ثم ينحرف فيصيبه .

مراهنات النضال

ولقد كان للعرب في رمى السهام مراهنات تدل على احتفالهم بهذا النوع من الرياضة ، فهم يجتمعون له كما يجتمعون لسباق الخيل . وقد عدوا من أنواع مسابقاته ثلاثة : فأولها المبادرة ، وهى أن يشترط إصابة عشرة من عشرين ، فمن أحرزها فقد نضل صاحبه ، أى غلبه ؛ وثانيها المحاطة ، وهى أن يقولوا : نرمى عشرين رشقا على أن من فضل صاحبه بخمس إصابات فقد نضله . أى أن كل واحد من المتراهنين يرمى عشرين سهما على الولا ، وتحصى إصابات كل منهما ، فإذا زاد أحدهما على صاحبه بخمس كان هو الفائز ، وثالثتها المناضلة وهى أن يشترط إصابة عشرة من عشرين على أن يرمى كل منهما عشرة ، فإن أصابا معا عشرة أو ما فوقها أو دونها لم يحصل النضل ، وإن بلغ أحدهما العشرة أو زاد عليها ولم يبلغها الثانى فقد فاز الأول . هذا ما تيسر لنا الإلمام به من أحوال العرب في باديتهم فيما يتعلق بالبدن ورياضته بأنواع المسابقات والمغامرات ، ويصح أن نعود إلى توفية الموضوع أو نتركه إلى ما صاروا إليه في أيام مدنيتهم ، وما اكتسبوه من جيرانهم . والله الهادى إلى أقوم سبيل .